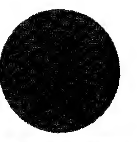
نجد

منذ القرن العاشر الهجرى
حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب



دكتور : عبدالله الصالح العثيمين

عـلاقتها بالقـوى المحيطة بهـا :[1]

من المعروف لدى كثير من دارسي تاريخ هذه البلاد أنه بعد ان ضـعفت الدولة الاخيضرية التي أسسها محمد بن يوسف العلوي في منطقة اليمامة أصبحت نجد أكثر تفككا من ذي قبل ، كما أصبحت هدفا لغزوات القـوى المحيطـة بها وفلكا لامتداد نفوذها سواء تلك القوى المتمثلة في الدول التي قامت في شرق الجزيرة العربيـة (الاحساء) أو تلك القـوة المتمثلة في أشراف مكـة ٠

ويهمنا في هذه الصفحات من الدول التي قامت في منطقة الاحساء دولة الجبريين التي بلغت درجة كبيرة من القوة ، والتي بدأت غزواتها لنجد منذ منتصف القـرن التاسـع الهجـري حيث يقول المؤرخ عبد الله بن بسـام :

« وفي هذه السنة (٨٥١) غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملـك الاحسـاء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصـبح الدواسر وعايذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال منالفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وبعض ابلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوما ثم قفل عائدا الى وطنه » (٢)

واستمرت غزوات الجبريين لنجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأوائل القرن الذىتلاه، ويلاحظ أناكثر تلك الغزوات كانموجها ضد قبيلةالدواسر على أن قبائل اخرى كالفضول وآل عايذ وآل مغيرة وسبيع تعرضتلهجمات الجبريين ولكن بدرجة اقل من تعرض القبيلة السابقة • وكان من بين أسباب تلك الغزوات اعتداء القبائل المذكورة على بواد تابعة لحاكم الاحساء او قوافل تجارية قادمة من تلـــك المنطقة الى نجد ، وكثيرا ما تكللت تلك الغزوات بالنجاح (٣)

وكان للجبريين نفوذ في نجد يوضحه أن بعض المصادر وصــفت اجود بن زامــل أحد حكامهم المشهورين بأنه « رئيس اهل نجد وراسها •• » (٤) وتدل عليه أيضــا قصيدة جعيثن اليزيدي الحنفي التى يمدح فيها مقرن بن أجود بقوله :

حمى بالقنا هجرا الى ضــاحي اللــوى	الى العــارض المنقــاد نابي الفــرايد
ونجـــد رعى ربعـــي زاهى فلاتهـــا	على الرغــم من ســادات لام وخـــالد
وســادات حجـــر من يزيد ومزيـــد	قد اقتادهــم قود الفلا بالقـــلايد (٥)

على أن الخلافات الداخلية حول الحكم أنهكــت الدولة الجبرية ، وزاد من مصيبتهــا تدخل البرتغاليين في المناطق التابعة لها ، وهو التدخل الذى ذهب ضحيته مقرن بن أجودنفسه سنة٩٢٧هـ (٦) ثمانتهتهذه الدولة علىيد راشدبنمغامس عام٩٣٢هـ(٧)

وفي الوقت الذى كان فيه البرتغاليون يهــددون جزيرة العرب من عدة جهــات بحرية كان العثمانيون يحرزون انتصارات على خصومهم المماليك • وحين اســتولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ انضمت الحجاز رسميا تحت النفوذ العثماني واتجهت انظار العثمانيين الى بقية جزيرة العرب رغبة في التوســـع ودفعا لخطـــر البرتغاليين عن منطقة تضم مقدسات اسلامية ، وقد نجح العثمانيــون في التــــوغل في اليمن وصارعوا البرتغاليين على شواطىء البحر الاحمر كما صارعوهم في منطقــة الخليج ، ثم استولوا على الاحساء سنة ٩٦٣ هـ (٨) وباتت نجد محاطة من جميــــع جهاتها تقريبا بمناطــق خاضعة للعثمانيين الامر الذي يبدو أن أشراف مكة حاولوا استغلاله لمصلحتهم • ومن حسن حظ هؤلاء الاشراف أنه في تلك الفترة بالذات ظهرت بينهم شخصيات قوية كابي نمي الثانى فبدأت غزواتهم لنجد حين قام حسن بن أبي نمي المذكور بغزوة اخترق بها نجدا حتى وصل الى العارض وهاجــم بلدة معكــال التى أصبحت جزءا من مدينة الرياض الحالية وذلك سنة ٩٨٦ هـ ثم هاجم أمكنـــة تقع جنوب المنطقة السابقة بعد ذلك بثلاث سنين (٩) واســتمرت غزوات الاشراف لنجد بعد ذلك وان كانت متباعدة في أوقاتهـــا (١٠)

ويلاحظ أن اكثر غزوات الاشراف هذه كانت موجهة ضد سكان المدن والقـــرى بعكس هجمات الجبريـــين التى كانت موجهة عموما ضــد رجال القبائل • وبما أن الحضر عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فانه من المستبعد أن تكون حماية طرق تلك القوافل سببا لغزوات الاشراف لنجد • والمرجح أن تلك الغزوات كانت تهدف الى الحصول على غنائم وفرض سلطة عليا على البلاد تفرض من خلالها ضرائب ســـنوية على السكان • والمتتبع لاجراءات الاشراف يرى ذلك بوضوح فقـــد كان على بعض البلاد النجدية فيوقت من الاوقات ان تدفع مبلغا منالمال كل سنة الىخزينة مكة (١١) كما كان فشل بعض هذه البــلاد في دفع المبلغ المفــروض عليها أو محاولتها الثــورة ســـــببا في معاقبتها بشـــــدة (١٢)

وفي غضون ذلك كانت قبيلة بنى خالد آخذة طريقها الى الزعامة حتى تمكنــت من فرض قوتها في شرق جزيرة العرب خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشـر الهجـرى • كما كان نفوذ العثمانيين آخذا في التقلص نتيجة المتاعب الداخليـــــة والخارجية التى كان العثمانيون يواجهونها ، وكانوا قد اضــطروا الى ترك اليمن بسبب الثورة التى قامت ضدهم هناك • وقد استغل بنو خالد هذه الفرصة فهاجموا بقيادة براك بن غرير قوات العثمانيين في الاحســـاء وطردوهم من تلك المنطقـــة ســـــنة ١٠٨٠ هـ (١٣)

وما أن تمكن بنو خالد من السيطرة على مقاليد الامور في الاحساء حتى اتجهــت أنظارهــم الى مد نفــوذهم في بعض مناطــق نجد فغزا براك بن غرير آل نبهـــان قرب سدوس عام ١٠٨١ هـ وبعد سبع سنوات هاجــم آل عساف قرب الدرعية (١٤) ومضى بنو خالد يغزون نجدا ويحاولون مد نفوذهم على أجزاء منها (١٥) مزاحمـــين بذلك نفوذ أشراف مكة • وكانت علاقة النجديين بحكام الاحساء ذات أهمية خاصة لان منطقة الاحساء كانت متنفسا اقتصــاديا لنجد حيث كان يذهب اليها النجديون بحثا عن الرزق خاصة في أوقات الشدة والقحط (١٦) ، كما كانوا يترددون اليهـــا ليستوردوا منها أو عن طريق موانئها ما يحتاجون اليه •

وعلىأية حالفاننا حينما نتكلم عننفوذ تلك القوىالمحيطة بنجد فيهذهالمنطقةفاننا لا نعنى به النفوذ القوى الذى يفرض وجوده على سير الحوادث بدرجة كبيرة ، ذلك أنه لا نفوذ الجبريين في نجد ولا نفوذ أشراف مكة في بعض جهاتها أو نفوذ بنى خالد في بعض جهاتها الاخرى أحدث فيها نوعا من الاستقرار السياسي ، فالحروب بـــين البلدان النجدية استمرت قائمة، والصراع بينقبائلها المختلفة لميتوقف أوتخفحدته

الهوامش والمصادر

١ ـ الهدف الرئيسي من هذه المقالات اعطاء فكرة مختصرة عن الاوضاع السائدة في نجد خلال تلك الفترة سياسيا واجتماعيا ودينيا ٠

٢ ـ « تحفة المشتاق في اخبار نجد والحجاز والعراق » صورة نقلها من المخطوطة الاصلية نور الدين شريبه ، ورقه ٨ ٠ وكلام ابن بسام صريح في أن زامل بن جبر كان حاكم الاحساء والقطيف آنذاك ، ولكن السخاوي في « الضوء اللامع » (القاهرة ، ١٣٩٣ هـ) ٠ ج ١ ص ١٩٠ يقول ان سيف بن زامل هو الذى انتزع حكم تلك المنطقة من بنى جروان ٠ وقد يكون سيف هو الذى قام بتلك الغزوة ٠

٣ ـ عبد الله بن بسام ٠ المصدر السابق ٠ الورقات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ و١٦ ٠

٤ ـ السمهودى ٠ « وفاء الوفا » (القاهرة ، ١٣٢٦ هـ) ج ٢ ص ٢٨٨ ٠

٥ ـ حمد بن لعبون ٠ « تاريخ حمد بن لعبون » (مكة ، ١٣٥٧ هـ) ص ٣٢ ، قارن الشيخ حمد الجاسر ٠ « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » (الرياض ، ١٣٨٦ هـ) ص ٨٣ ٠

٦ ـ ابن اياس « بدائع الزهور » (القاهرة ، ١٣٨٠ هـ) ج ٥ ص ٤٣١ ٠ ذكر الاستاذ جورج رنتز في مقاله « جزيرة العرب » في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغة الانجليزية أن مقرنا كان عم وخليفة أجود ٠ والواقع ان مقرنا كان ابن أجود لا عمه كما أنه لم يخلفه على الحكم وانما خلف أجود ابنه محمد ٠

٧ ـ محمد آل عبد القادر ٠ « تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد » (الرياض ١٣٧٩ هـ) ج ١ ص ١٢١ ٠

٨ ـ محمد آل عبد القادر ٠ المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ ٠

٩ ـ عبد الملك العصامى « سمط النجوم العوالى ·· » (القاهرة ، ١٣٨٠هـ) ج ٤ ص ٣٦٨ · قارن ابن بشر « عنوان المجد ·· » طبعـــة وزارة المعـــارف السعودية الثانيـــة ١٣٩١ هـ ج ٢ ـ ســــــوابق ـ ص ١٩٥ ·

١٠ ـ المصـــــــدر الســـابق ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ٢٢٣ و ٢٣٨ ·

١١ ـ المصـــــــدر الســـابق ص ١٩٥ ·

١٢ ـ ابراهيم بن عيسى · «تاريخ بعض الحوادث الواقعة فينجد ·· » (الرياض ، ١٣٨٦هـ) ص ٧٠

Gerald de Gawry " Rules of Mecca " (London , 1951) p. 158.

١٣ ـ ابن بشر · المصـــدر السابق ، · ج ٢ ـ سوابق ـ ص ٢١١ ·

١٤ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٢ و٢١٣٠ ·

١٥ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٥

٢٢٨ ، ٢٤١ و ٢٣٣ ·

١٦ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٣ و ٢٣٥ ·

Abn Hahoima. "Hirtory of Eostern Arabia (1750—1800)" (Beirut, 1963) p. 40.